■ سجناء يرقصون البرع ابتهاجا بالعيد

■.. للعيد بين الأهل والاصدقاء طعم آخر لايمكن وصفه .. لأن العيد بين الأهل هو الفرحة الحقيقية وهو البسمة بعيداً عن المظاهر الشكلية والملابس الجديدة أو غير ذلك من الاشياء التي يعتبرها البعض أساس العيد بينما هي في الواقع مكملة لفرحته ،بهذه الكلمات الجميلة أجابني أحد السجناء في السجن المركزي بعد أن سألته كيف يرى العيد داخل أسوار السجن .

هذه الجمل التي تحدث بها «محمد» والدمع يكاد ينسكب من عينيه تخفي الكثير من المعاني الجميلة التي يتمتع بها عامة الناس وهم يقضون فرحة العيد بين الاسرة والاصدقاء والجيران والمجتمع بشكل عام واثناء الكلام عرفت منه أن هذا ليس العيد الأول الذي يقضيه داخل السجن .. وغير محمد كثيرين يقضون العيد داخل أسوار السجون .. ولكن كيف يقضونه بعيداً عن أسرهم ؟ وهل هناك طقوس عيدية يعيشها المساجين داخل أسوار السجون ؟

استطلاع/عبدالواسع الحمدي

مباهج العيد وطقوسه تقتحم السجون

العقيد مطهر الشعيبي : وفرنا وسيلة اتصالات ليتبادل السجناء التهاني بالعيد مع أقربائهم ومددنا ساعات الزيارة

في اليوم الأول لأيام عيد الفطر المبارك دخلت لأول مرة في زيارة للسجن وجدت الناس على اختلاف هيئاتهم وملابسهم يحاولون أن يفرحوا بالعيد داخل السجن .. صحيح أنهم غير من شاهدت خارج أسوار السجن ممن يرتدون الملابس الجديدة ويتزينون بالروائح الطيبة والابتسامات التي يهدونها هنا وهناك .. إلا أن عدداً كبيرا ممن شاهدتهم خلف الأسوار الحديدية التي تفصل بين الزوار والمساجين يلقون السلام بعبارات «عيد مبارك» ومنهم من يهدي زميله في السجن حبات من اللوز والشوكلاته التي وصلته من عائلته التي تقطن في صنعاء ، وهم القليل جداً وهم أيضاً من يوزعون الشوكلاته على زملائهم من اصحاب المحافظات البعيدة في مشهد رائع يجسد حالة من التراحم والتعاطف بين المساجين .

ولفت نظري العدد الكبير من الزوار في اليوم الأول ، فكل له أخ أو أب أو صديق مسجون يحرص على أن يقضي جزءاً من فرحة العيد مع قريبه المسجون للتخفيف من كربته في السجن ونقل بعض من جماليات العيد الى السجين وتسليمه بعض الهدايا العيدية «كالكعك» الزبيب، اللوز ، والشوكلاته ، العصائر ، وما شابه ذلك .

لحظات الانتظار صعبه ..

● اقتربت من أحد المساجين بعد أن شاهدته ينظر الى المارة الداخلين لزيارة أقربائهم في السجن وكأنه ينتظر مجيء أحد .. فقعدت الى جواره يفصلني عنه «شبك حديدي» سلمت عليه بعيد مبارك ووجدت علامات الرضى والارتياح على قسمات وجهه بعد أن ألقيت عليه السلام فجلست الى جواره وسألته : كيف العيد ؟ فقال لي : باللهجة العامية «أين عيد تشوفنا في السجن وتقول عيد» في السجن لاتحس أنه عيد إلا من خلال زيارة أقاربك بالهدايا العيدية أو بتأدية صلاة العيد عندما نصليها في الصباح الباكر .

فقلت له هل تنتظر زائرا أو شخصاً معيناً؟

فاجاب بعبارة فاجأتني «منتظر واحد من خارج السجن يكلمني وأكلمه» فتحدثت إليه أكثر من نصف ساعة ..

كان أغلب كلامه حول مباهج العيد والطقوس العيدية التي كانوا يؤدونها هم في الريف.. كان يتحدث عن تلك الطقوس وتعابير كلامه توحي بالندم لأنه لايعيش أفراح العيد بين أسرته وأصدقائه ..

قال : في الريف نجتمع بعد انقضاء صلاة العيد في حلقة دائرية كبيرة نتصافح .. والاطفال من حولنا يلعبون ويمرحون .. وبعد حوالي نصف ساعة من السلام تفضى الساحة التي تؤدى فيها الصلاة وكل يذهب لزيارة أرحامه .. وبعد العاشرة من صباح العيد يتجمع أهل القرية عند قارعي الطبول أو مايسمونه «البرع» لتأدية عدد من الرقصات والاهازيج الشعبية الجميلة ..

وأضاف : إن هذه الرقصات «البرع» لايؤدونها إلا في المناسبات مثل الأعراس والأعياد .. ففي العيد بالذات يستمر قرع الطبول خلال الأيام الثلاثة الأولى من صباح أيام العيد .. وبين كل رقصة «برعة» والاخرى يقفون دقائق لسماع «الزوامل» وكل يدلي بماليديه من أبيات شعرية .

وخلاصة ما تحدث به يبين أن العيد في الريف جميل وله طقوس شعبية متميزة يتأسف انه لايقضيها بين أهله واصدقائه في القرية الذين يعيشون هذه الأيام تلك الفعاليات العيدية الجميلة ..

– وبالرجوع الى احصائيات السجن يوجد نحو ٢٠٠٠ سجين من الذكور ونحو ٦٠ سجينة من الاناث قضوا هذا العيد «عيد الفطر المبارك» داخل السجن المركزي بصنعاء ..

ومن خلال ما عرفناه من الاحصائيات أن المساجين ينقسمون الى شطرين أو قسمين .. الأول قسم المحكومين .. أي الذين صدرت في حقهم أحكام قضائية ..

أما القسم الثاني : فهم غير المحكومين – أي رهن التحقيق – ولازالت قضاياهم تنتظر صدور أحكام ..

لكن هذا العدد الكبير من المساجين «الذكور» كيف تتعامل معهم ادارة السجن المركزي خلال أيام عيد الفطر المبارك ...

وماهي التسهيلات أو المميزات التي يحصلون عليها خلال أيام العيد .. فقد سمعنا من كثير من الموظفين في ادارة السجن أن المساجين خلال أيام العيد «مدللين» أو مرفهين نوعاً ما .. فحاولنا التأكد من صحة ذلك .. وذهبنا بدورنا الى المسؤولين في ادارة السجن المركزي لنسمع منهم أكثر وبشيء من التفصيل حول ما يقدمونه للمساجين في العيد .

المختص في السجن

● ادارة السجن المركزي بدورها تحاول اضفاء مباهج العيد وأجواء العيد على المساجين وتساهم بشكل كبير في توفير احتياجات العيد لهم..

ويقول العقيد مطهر الشعيبي مدير السجن المركزي: إن ادارة السجن المركزي تتفهم بطبيعة الحال ضرورة تحسين نوعية الخدمة المقدمة واضافة أخرى لخصوصية عيد الفطر المبارك بحيث لايحس السجين بأي اختلاف في أجواء العيد داخل السجن عن خارجه .. إذ تقدم ادارة السجن اللحوم للمساجين حيث وزعت لهم نحو الف ومائتي كيلو من اللحوم الى جانب الوجبات الاخرى الرئيسية .

ويضيف العقيد مطهر علي ناجي الشعيبي مدير السجن: إن أجواء العيد في السجن لاتختلف عن خارجه سوى أن السجين في مكان محصور من السجن فيما الناس في الخارج في مكان مفتوح ..

وعن اليوم الأول لأيام العيد يقول العقيد مطهر: إن المساجين في اليوم الأول وعددهم نحو ٢٠٠٠ حالة من الذكور و٦٠ حالة من الاناث قاموا منذ الصباح الباكر لتأدية صلاة وشعائر العيد في المسجدين داخل السجن وبعد الصلاة يلتقي الناس في السجن بعضهم ببعض يتصافحون «بسلام العيد» ونسمح لهم بمعاودة أهاليهم من خلال الهاتف التابع للسجن كل سجين بمعية ضابط ونتيح لهم هذه الفرصة لكي لايشعروا بعزلة عن أهلهم أو ما شابه ذلك ، حيث قمنا بتوفير وسيلة اتصالات داخل السجن لهذا الغرض .. وهذا الشيء خلق نوعاً من الطمأنينة والراحة النفسية لدى السجناء ..

ولفت العقيد مطهر الى ان ادارة السجن بعد معرفة جدوى وأهمية هذه الوسيلة وهي «الاتصالات» بدأت بالتشاور مع شركة تيليمن لتوفير وسيلة اتصالات «كبينة» للمساجين داخل السجن لتكون الوسيلة متاحة لكافة المساجين الراغبين في التواصل مع أهاليهم خارج السجن ..

■ زوار يتحدثون مع أقربائهم داخل السجن

المساجين : العيد بين الاهل والاصدقاء له طعم آخر

فرصة الالتقاء بالاسرة ..

الجانب الآخر وهو المهم في وضع المساجين أن ادارة السجن خلال أيام العيد تسمح للمساجين الالتقاء بأهاليهم الذين يأتون لزيارتهم في السجن ففي السجن حلقتان دائريتان من الشباك الحديد على المساجين لايستطيعون تجاوزهما .. غير أنه في أيام العيد تفتح الشباك الحديدية الداخلية وتبقى الشباك الخارجية داخل السجن مغلقة بحيث يتاح توفير فضاءات أوسع للمساجين للحركة والالتقاء بأقاربهم خلال أيام العيد فقط.

كما يسمح لكل رب أسرة سجين أن يلتقي بأسرته داخل السجن لنحو ساعتين في اليوم يجلس فيها مع زوجته وأطفاله يتحدث معهم ويأخذ راحته الكاملة .. وهذه الجوانب الانسانية التي توفرها ادارة السجن ترفع من الروح المعنوية للمساجين وتجعلهم غير معزولين عن الناس خارج السجن.

كما يقول العقيد مطهر: إن هذه الاجراءات تساهم في تقريب الأجواء العيدية للمساجين .

كما أنها تجعل أهل وأقرباء المسجون يشعرون بنوع من الرضى لأن قريبهم أو ابنهم المسجون يلقى معاملة طيبة ولاتختلف عن الأجواء العيدية خارج السجن ..

ست ساعات يومياً

إضافة الى ذلك فان ادارة السجن جعلت فرصة أهل السجين للالتقاء بابنهم أكثر من الايام العادية فقد جعلت باب الزيارة مفتوحاً خلال الفترتين الصباحية والمسائية .. من الساعة التاسعة صباحا وحتى الثانية عشرة ظهراً وبعد ذلك من الساعة الواحدة بعد الظهر حتى الساعة الرابعة عصراً خلال أيام العيد لتكون فرصة الالتقاء بين من هم داخل السجن وخارجه متاحة لنحو ست ساعات في اليوم يستطيع خلالها أهل السجين أن يأتوا لزيارة ابنهم المسجون أو قريبهم في الصباح والجلوس معه أو تناول وجبة الافطار معه وكذلك وجبة الغداء في الزيارة المسائية التي تبدأ بعد الظهر والسماح أيضا للسجين بأن يمارس «مضغ القات» .. وكل الجوانب الانسانية التي هيأتها ادارة السجن تساهم أيضا في إصلاح وتهذيب السجين وتقويمه..

وسائل ترفيه

تبادر الى ذهني سؤال طرحته على العقيد مطهر الشعيبي مدير السجن وهو: اذا لم يكن مع السجين أهل أو أقرباء يأتون لزيارته .. ماذا يعمل اثناء الست الساعات التي يخرج فيها المساجين من عنابرهم الى الساحات حيث يلتقي الناس الذين يأتون مع خارج السجن بأقاربهم داخله ؟

فأجاب : هناك وسائل أخرى ترفيهية وأنشطة رياضية متاحة لمن يريد ممارستها .. الى جانب أن السجناء يتعاونون بشكل ملفت مع بعضهم خاصة أيام العيد ومع زملائهم الذين لا زيارات لهم لتجدهم يتقاسمون أطعمتهم وجعالة العيد التي يحصلون عليها من أهاليهم وكذلك القات ..

فأعدت السؤال عليه مرة أخرى ماهي الوسائل الترفيهية الرياضية التي يمكن ممارستها ؟ فقال هناك ألعاب كثيرة منها ألعاب الشطرنج والدمنة – كرة القدم – وألعاب أخرى قمنا بتوفيرها لقضاء عدد من الانشطة الرياضية بدلاً من ضياع وقت السجين في التفكير الطويل والتحسر والخمول .. كما توجد شاشة تلفاز للراغبين في مشاهدة البرامج العيدية المتنوعة ومتابعة كل ما هو جديد عبر مايذاع تلفزيونيا .. بالاضافة الى ذلك تترك للسجين خلال فترة الست الساعات حرية التنقل والحركة والمشي هنا وهناك ..

جلسات عيدية

كنت لا أعرف انه مسموح للسجين مضغ القات حتى رأيت الزوار خاصة أثناء الزيارة المسائية يدخلون ويحملون معهم «علاقيات» أكياس القات ..

استوقفت أحد الشباب الداخلين وسألته .. هل يسمحون للمسجون بتعاطي القات فأجاب نعم .. مسموح لهم .. ألقات يجعلهم «يرتاحون ويكيفون» هكذا كان رده .

وعندما حرصت على أن أتاكد من ذلك .. ودخلت ووجدت المساجين يجلسون في حلقات للمقيل ويتحدثون حول العيد وأحوال بعضهم البعض .. كما أن عدداً من السجناء المخزنين يجلسون بمحاذاة الشبك الحديدي الذي يفصلهم عن الزائرين لهم ويتحدث لساعات مع أهله وهو مخزن وكأنه في منزله يجلس مع أسرته يتحدث معهم حول العيد وأحوال أطفاله في العيد ..

وهناك عدد كبير خاصة ممن لايوجد من يأتي لزيارتهم يجلسون في العنابر أو الغرف الداخلية «مخزنين» في جلسات أشبه بجلسات العيد لاتختلف كثيراً عن جلسات العيد التي نعايشها أو نرتادها خارج أسوار السجن المركزي غير أن الأجواء تبدو كئيبة ومحزنة .

في الأخير

لا أنكر أنني خفت قليلا في زيارتي الأولى للسجن ولكنني بعد أن ترددت لأكثر من مرة على السجن – زائر طبعاً – وليس نزيلاً فيه – وجدت أن هناك أشياء كثيرة متاحة للمساجين وأن ادارة السجن تقوم بالشيء الكثير لتوفير أجواء العيد للمساجين .

كما أن الجوانب الانسانية التي تراعيها ادارة السجن مثل السماح للأسر بالالتقاء مع أسرهم وأطفالهم لنحو ساعتين في اليوم بادرة جداً انسانية ورائعة بالاضافة الى وسيلة الاتصالات التي يتم توفيرها للمساجين للتواصل مع أهاليهم وتبادل التهاني بالعيد وهو مايجب أن تشكر عليه ادارة السجن .. ونشد على أيديها لتتمكن من استكمال مشروع توفير كبينة اتصالات داخل السجن وهي التي تحدث عنها العقيد مطهر ونتمنى أن نأتي في المرة القادمة وقد تم توفير هذه الكبينة ..

أشير الى أن الطقوس العيدية المهيأة للمساجين التي يعيشونها داخل أسوار السجن المركزي لاتختلف كثيراً من حيث الشكل عن الطقوس التي نراها خارج أسوار السجون غير أنها – أي طقوس العيد في السجن – تقام في مجتمع صغير محاط بأسوار من الطوب والحديد فالناس في السجن يتبادلون التهاني – يجلسون في «مقايل» عيدية – يشاهدون ويتابعون الاخبار والبرامج العيدية عبر التلفاز .. غير أن الحركة والحرية تنقصهم فحركتهم قصيرة بمكان محدد يعزلهم عن المجتمع ، وأياً كانت الاجواء خلف القضبان يظل العيد بين الأهل والاصدقاء ذا مذاق آخر لايشعر به إلا من حرم منه .

تصوير/ عبدالله حويس

■ يلعبون كرة الطائرة.

■ سعادة غامرة ابتهاجا بالعيد